سفينة بحوث تشجع نهج النظام الإيكولوجي

©FAO/Oddgeir Alvheim

العمل لمساعدة إدارات ومؤسسات مصايد الأسماك في 32 بلداً ساحلياً في أفريقيا

العمل من أجل زيادة القدرات القطرية والاقليمية على إدارة مصايد الأسماك الواقعة ضمن النظم الإيكولوجية البحرية

العمل يداً بيد مع الحكومة النرويجية

العمل بفضل تمويل من الوكالة النرويجية للتعاون الإنمائي

تبحر سفينة البحوث البحرية «الدكتور فريدتجوف نانسين»، التي سمّيت باسم المكتشف والناشط الانساني النرويجي الحائز على جائزة نوبل للسلام عام 1922، على امتداد الساحل الأفريقي الشمالي الغربي مستخدمةً صوراً ثلاثية الأبعاد في رسم خريطة لقاع البحر وتجمع بيانات تتعدى كثيراً عمليات المسح التقليدية لمصايد الأسماك التي تحصي المخزونات السمكية. حيث تقوم السفينة التي يبحر على متنها باحثون من معهد البحوث البحرية النرويجي ومن البلدان الساحلية الأفريقية المشاركة بتنفيذ عمليات مسح للنظام الإيكولوجي البحري برمّته، مدوّنةً آثار الضغوط الخارجية كالتلوث والتغيرات المتصلة بالمناخ والصيد المفرط وتبعاتها على المجتمعات السكانية الساحلية. وعند الانتهاء من جمع البيانات يقوم باحثو نانسين بإطلاع مع مسؤولي مصايد الأسماك وإدارة المناطق الساحلية القطريين والاقليميين عليها، الذين يقومون بإدخال المعلومات كعوامل مؤثرة في خطط إدارة مصايد الأسماك متّبعين في ذلك نهجاً يوازن بين أهداف الحفاظ على صحة النظام الإيكولوجي وصحة الانسان معاً. ويمثل هذا كله جزءاً من مشروع النهج الإيكولوجي في مصايد الأسماك - نانسين الذي يشكل أحدث مرحلة من مراحل التعاون بين المنظمة والنرويج الذي انطلق قبل ما يزيد على 35 عاماً.

تنهض المنظمة بدور فريد من نوعه في تطبيق مشروع النهج الإيكولوجي في مصايد الأسماك، حيث تعمل كوسيطٍ لنقل المعلومات بين الباحثين البحريين في البحر وعلى اليابسة وبين مديري مصايد الأسماك الذين يعدّون مسؤولين عن مصايد الأسماك وعن الإدارة الساحلية معاً. كما تقدم المنظمة التدريب والدعم اللازمين لكفالة قدرة باحثي البلدان الأفريقية المشاركين في أعمال المسح التي تجريها سفينة «الدكتور فريدتجوف نانسين» للأبحاث على جمع البيانات التي يحتاجون اليها. وتوجَّه الدعم كذلك الى أولئك الذين يعملون على اليابسة، الى مديري مصايد الأسماك المحليين والقطريين والمنظمات غير الحكومية ومندوبي المجتمعات المحلية وعلماء الأحياء البحرية والأجهزة الإقليمية لمصايد الأسماك والصيادين الحرفيين والتجاريين، وذلك من اجل ضمان امتلاكهم الخبرة والمهارة اللازمة للمصايد المستدامة، التي تتراوح من تحليلات البيانات العلمية الى تأسيس عمليات إدارة مصايد مستدامة تتسم بالتشاركية والعدالة والشمولية.

وبغية مساندة هذه العملية، أنشأت المنظمة مجموعاتِ مهماتٍ في 32 بلداً إفريقياً، وتقدم الدعم لها، بغية تحقيق الهدف العام المتمثل بتعزيز قدراتها لإجراء تقديراتها بنفسها ورسم خطط إدارة مصايد أسماك معدّة خصيصاً لتلائم احتياجاتها القطرية بالذات. وبفضل التوجيه الذي تقدمه لها المنظمة تقوم كل من سيراليون وليبيريا وتنزانيا وجزر سيشل برسم خطط إدارة لمصايدها الحرفية. وباتت ساحل العاج وغانا وتوغو وبنين تبحث عن طرق من شأنها تخفيف الأضرار التي تتسبب بها مصايدها الشاطئية التي تستخدم الشباك الجرّافة. كما أبدت نيجيريا والكاميرون والغابون وموزمبيق اهتماماً خاصاً بكفالة استدامة مصايد الربيان الصناعية لديها.

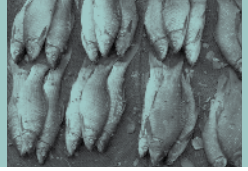
© FAO

حينما بدأت السفينة نانسين مسح المياه البحرية للبلدان النامية في 1975 كانت الموارد السمكية العالمية وفيرة، كما كانت البلدان المستقلة حديثاً توّاقةً لمعرفة الكمية المتاحة لها من هذه الموارد وسعت بصورة رئيسة للحصول على البيانات والمعلومات التي تمكنها من تحديد حصص نسبية للصيد وتأسيس مصايد أسماكٍ تجارية قابلة للحياة والنمو. وقد كانت المنظمة نفسها تشغّل أسطولاً يضم نحو 120 قارباً في أنحاء العالم لأغراض البحوث والتنمية، وذلك قبل أن يؤدي ازدياد عدد السكان وارتفاع الطلب على الاستهلاك الى توسيع أسطول الصيد العالمي، والذي أدى بدوره الى استنفاد موارد الأسماك. فأدى ذلك مترافقاً مع تطوير المناطق الساحلية وازدياد التلوث وتغير الأحوال المناخية في العالم الى جعل النظم الإيكولوجية البحرية العالمية أكثر الموارد تعرضاً على وجه الأرض. غير أن المنظمة قامت عبر العقود بتكييف نشاطاتها بالتوازي مع التغيرات التي شهدها مورد مصايد الأسماك في العالم.

مشاركة الباحثين الأفارقة

تقدم المنظمة الرعاية اللازمة لانضمام باحثي البلدان الأفريقية الى المسوحات التي تجريها السفينة نانسين، لا كمراقبين فحسب بل بوصفهم مشاركين في تخطيط المسوحات وتنفيذها. فعلى اليابسة تعقد المنظمة حلقات عمل لزيادة قدرات الباحثين والمدراء القطريين على فهم وتفسير بيانات نانسين الى جانب المعلومات التي تقدمها مصايد الأسماك والمصادر الأخرى، وإدماجها في نظم إدارة المصايد التي لديهم، كما تقدم الإشراف اللازم لكفالة مطابقة خطط الإدارة التي يعدّها الخبراء القوميون للمعايير الدولية وانسجامها مع النهج الإيكولوجي لمصايد الأسماك. وبالنظر الى قيام بلدان عدة بالصيد من المورد ذاته تقوم المنظمة بوضع آليات إقليمية كي تضع البلدان المتجاورة لوائح متساوقة لمصايد الأسماك- ما يساعد على تجنب وقوع مشاكل عابرة للحدود، كأن يشترط أحد البلدان استخدام شباكٍ ذات فتحات تساوي 30 ملمتراً ويشترط البلد المجاور له استخدام شباكٍ ذات فتحات تساوي 20 ملمتراً.

©FAO/Oddgeir Alvheim

وبالنظر الى أن الشراكة - على الصعد القطرية والإقليمية والدولية - تعدّ المحور الأساس في تنفيذ مشروع النهج الإيكولوجي في مصايد الأسماك – نانسين، تعمل المنظمة مع ثلاث جامعات أفريقية لتقديم دورات دراسية في موضوع تطبيق النهج الإيكولوجي في مصايد الأسماك. وهذا ما ينتج باحثي ومدراء مصايد أسماك جدد ذوي مستويات عالية في تقدير قيمة النظم الإيكولوجية البحرية وكيفية عملها، ويشكلون أداة فعالة لإحداث التغييرات اللازمة في إدارة الموارد السمكية في بلدانهم. بل إن هذا الجهد لم يغفل باحثي ومدراء المستقبل، حيث يجري توعية اطفال المدارس في السنغال وغامبيا بأهمية البحار السليمة للسكان ومصايد الأسماك المستدامة.

النظام الإيكولوجي في مركز الاهتمام

في أواخر 2011 أبحرت السفينة نانسين من كوناكري في غينيا الى المغرب لمدة 62 يوماً منفّذةً مسحاً للنظام الإيكولوجي المعروف باسم تيار كاناري البحري الكبير، وهو نظام إيكولوجي يقدم الأغذية للبلدان الساحلية، وتقدم غابات المنغروف فيه الأخشاب، وتسند أراضيه الساحلية قطاعات الزراعة وتربية الأحياء المائية والتنمية الحضرية والسياحة والنقل. ومن المؤمل أن تساعد البيانات التي تمخض عنها المسح في تحديد مستوى تدهور المورد وزيادة فهم كيفية تأثير التغيرات المتصلة بالمناخ على موائل الأسماك وتوزيعها ووفرتها. كما سيقدم المسح خط أساس قاعدي لقياس أية تغيرات متصلة بالمناخ قد تحدث في المحيطات مستقبلاً، وبوجه خاص تلك التي تقع بمحاذاة البلدان النامية. ومن الجدير بالذكر أن السفينة نانسين كانت قد نفذت مهمة مماثلة في المحيط الهندي الجنوبي الغربي في 2008، كما نفذت مهمات أخرى حول افريقيا الجنوبية الغربية وفي خليج غينيا.

وقد أدى عمل المشروع في مجال جمع البيانات البحرية وتبادل البيانات الأرضية الى زيادة الإدراك على المستويين القطري والإقليمي لضرورة الحفاظ على النظم الإيكولوجية سليمة ولدور نهج النظام الإيكولوجي الهام في جعل مصايد الأسماك موارد مستدامة. ويخطط المشروع للعمل يداً بيد مع وكالات الأمم المتحدة الأخرى في قادم الأيام لانشاء منصة مشتركة لرصد التغيرت المتصلة بالمناخ في المحيطات، وبوجه خاص محيطات البلدان النامية التي تفتقر الى القدرة على تنفيذ هذه المهمة بنفسها.